

الأمثال في القرآن الكريم

(142) وبذلك يعلم أن ترصّي القرآن عن المهاجرين والآنصار في قوله سبحانه :
(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا
قَرِيبًا) . (1) ويؤيد ما ذكرناه أنه سبحانه حدّد طرف الرضا بقوله : (إِذ يُبَايِعُونَكَ
) ولا يكون دليلًا على رضاه طيلة حياتهم، فلو دلّ دليل على زلّة واحد منهم، فيؤخذ
بالثاني جمعًا بين الدليلين. وقد يظهر مفاد قوله سبحانه : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْآنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) . (2) فإنّ الآية دليل على شمول رضى
اللهم، فيؤخذ بالآية مالم يدل دليل قطعي على خلافها، فلو ثبت بدليل متواتر أو خبر
محفوف بالقرينة ارتداد واحد منهم أو صدور معصية كبيرة أو صغيرة، فيؤخذ بالثاني، وليس
بين الدليلين أي خلاف، إذ ليس مقام صحابي أو تابعي أعلى من مقام ما جاء في هذه الآية،
أعني من آتاه الله سبحانه آياته وصار من العلماء الربانيين ولكن اتبع هواه فانسلخ عنها.
فما ربما يتراءى من إجماع غير واحد من المفسرين بهذه الآيات كلى عدالة كافة الصحابة
فكأنّها غفلة عن مفادها وإغماض عما صدر عن غير واحد من الصحابة من الموبقات والمعاصي
والعالم. _____ 1 - الفتح:18، 2 - التوبة:100.